ذ.عبد الواحد منير

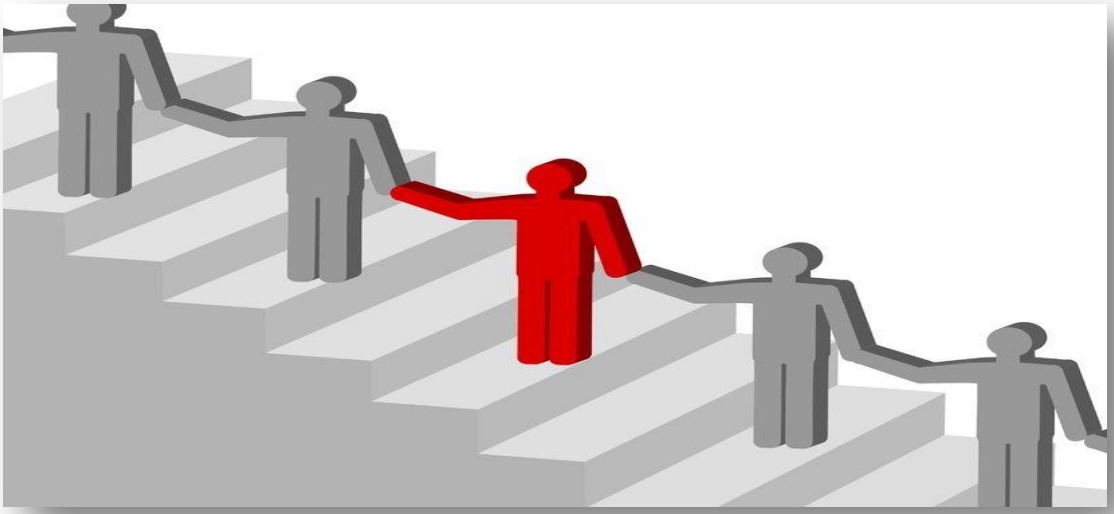

- **تمهيد**

يعد مفهوم الغير مفتاحا أساسيا لفهم الوضع البشري، و فهم أشكال التفاعل الإنساني داخل هذا الوضع. ذلك أن وجود الإنسان في العالم ليس جديرا بالتسمية إن لم يكن و جودا –مع Etre- avec.

وتتحدد دلالة مفهوم الغير في كونه أنا آخر alter ego ، فهو بهذا المعنى ذلك الشخص الذي يقول "أنا" دون أن يكون "أنا". إنه حسب التحديد السارتري << الغير هو الأخر ، هو الأنا ليس أنا >> وهذا يعني أن الغير "آخر غيري أنا" un autre que moi وهو أيضا "أنا آخر" un autre moi وعلى هذا الأساس فهو مختلف différent باعتباره "آخر غيري أنا" وفي نفس الوقت مماثل semblable "أنا آخر".

المماثلة

الغير : أنا ليس أنا

الاختلاف

الغير، إذن، هو الآخر الإنساني (الشيء مجرد آخر في حين الغير هو أنا آخر) الذي رغم غرابته، يبقى كائنا مماثلا للذات من حيث التركيب الأنطولوجي ، ومن جهة مقومات الوعي. و هذه المفارقة التي ينطوي عليها مفهوم الغير هي التي تجعل منه إشكالا فلسفيا يشمل مختلف الأبعاد و المستويات: وجودية، معرفية، وجدانية و أخلاقية، ذلك أنه إذا كان النظر إليه من جهة الوجود يقود إلى البحث في دلالات هذا الوجود و أسسه و أبعاده و رهاناته، فإن النظر إليه من جهة المعرفة يستدعي التوقف عند إمكانية هذه المعرفة و صعوباتها. في حين يتطلب المستوى الأخلاقي بيان طبيعة العلاقة معه و حدودها و رهاناتها.

و عليه، تتحدد زوايا مقاربة هذا الإشكال على النحو التالي:

- ✓ **الزاوية الأولى** ، و نطرح فيها قضية وجود الغير، فكيف يتحدد وجود الغير؟ و هل وجوده ضروري للأنا؟ و هل هو مكسب للذات و إغناء لها أم مصدر تهديد و إفقار؟
- ✓ **الزاوية الثانية**، و نعالج فيها مسألة معرفة الغير، فهل هذه المعرفة ممكنة؟ و هل تستوجب معرفته تحويله إلى موضوع و النظر إليه من الخارج؟ ألا تؤدي هذه الإمكانية إلى اختزاله و تحويله إلى مجرد شيء؟ ألا يمكن المراهنة على معرفته من الداخل و معرفته كذات؟ و هل بالفعل يمكن العبور إلى داخل الذات و اختراق حميميتها؟
- ✓ **الزاوية الثالثة**، و نتناول فيها العلاقة مع الغير، فكيف تتحد هذه العلاقة و ما طبيعتها؟ و ما الذي ينبغي المراهنة عليه حتى يكف الغير أن يكون مصدر تهديد و خطر؟

المحور الأول وجود الغير

لم تتحدد معالم إشكالية الغير إلا في الفلسفة الحديثة ، فبعد أن أغلن ديكارت عن مركزية الذات من خلال الكوجيطو الشهير "أنا أفكر إذن أنا موجود" و تحديدها فقط من خلال ما يعود إليها و حدها ، ستبدأ هذه الإشكالية في التبلور لاحقا خصوصا مع الفيلسوف الألماني هيجل لتأخذ كل أبعادها و تجلياتها مع الفلسفة المعاصرة ذات الإستلهام الوجودي و الفينومينولوجي (هايدغر ، هوسرل ، سارتر ، ميرلو بونتي و غيرهم)

- **ديكارت R.descartes : مأزق الأنانة Solipsisme**

" إن الأنا التي أنا بها ما أنا أي النفس، متميزة تمام التميز عن الجسم، لا بل إن معرفتنا بها أسهل." ديكارت.

يتحدد الكوجيطو الديكارتي كنتيجة للشك المطلق في كل شيء ، و كجواب عن السؤال : ما الذي ينبغي أن أحتفظ به كيقين مطلق ؟ فمن خلال الشك المنهجي المدفوع إلى أقصى مدياته ، أقام ديكارت تعارضا جذريا بين "الأنا أفكر" و "العالم" ، فعبر هذا الشك أوضح أن حقيقة العالم الخارجي ليست يقينية على اعتبار أن الحواس بوصفها صلة و صل بهذا العالم يمكن أن تخدعني و بالتالي لا يمكن الثقة في ما يأتيني عبرها ، كما بين أن حقيقة الذات لا تتحدد في الجسد على اعتبار إمكانية الشك فيه كذلك. و الشيء الوحيد الذي ينجو من امتحان الشك هذا هو "الأنا" التي تقود هذه العملية ذلك أن افتراض إمكانية الشك في الشك ذاته يحمل تناقضا داخليا ، يقول ديكارت"إذ لا أستطيع ...أن أفترض أنني غير موجود ، لأن شكي في حقيقة الأشياء الأخرى يلزم عنه بضد ذلك ...أن أكون موجودا". و نفهم من هذا الإقرار بأنه لا يوجد يقين قادر على مواجهة الشك غير يقين "أنا

أفكر".إ ن الأنا ، إذن ، على يقين فقط بوجودها أما الباقي فمشكوك فيه بما فيه الغير. إن حقيقة "أنا أفكر" لا تشترط و جود الغير.

يظهر إذن ، أن الوعي بالذات عند ديكارت يتم في إطار تجربة عزلة تامة طالما أن الأنا مكتفية بذاتها و لا تتحدد إلا من خلال ما يرجع إليها وحدها دون حاجة إلى أي وسيط ، و نحن لا نجد في العملية برمتها مكانا للغير ، و الإمكانية الوحيدة لوجوده تبقى هي العالم الخارجي المفتقد لمعايير البداهة و الوضوح و اليقين .
و"الأنا" فقط قادرة على أن تستدل على وجوده بمثل ما تستدل على وجود الموضوعات الخارجية و لذلك يفتقر و جود الغير لبداهة وجود الأنا .إنه بهذا المعنى له وجود افتراضي قابل للشك.
الواضح ، إذن، أن الطريق إلى إثبات وجود الغير طويل جدا ، تتحدد معالمه فقط عبر إثبات وجود "الأنا" كيقين تام مباشر و بديهي ، و إثبات وجود الله كضامن لليقين ، ثم الاستدلال على وجود الغير دون أن يرقى يقين وجوده إلى يقين وجود الأنا . و لعل هذا التصور هو الذي جعل ديكارت يسقط في مأزق الأنانة solipsisme [وحدي "solus" مع ذاتي "ipse"] الذي يجعل كل واحد يمثل عالما خاصا منغلقا على ذاته.

إن فلسفة الوعي كما أسس لها ديكارت تحدد الإنسان كذات على يقين بوجودها و تعرف ذاتها معرفة مباشرة دون حاجة إلى وسيط(الاستدلال أو الغير) أما إثبات وجود الغير فلا يتم بطريقة مباشرة و إنما عن طريق استدلال عقلي هو الاستدلال بالمماثلة.

- **هيجل.F.Hegel ....تبادل الاعتراف la reconnaissance**

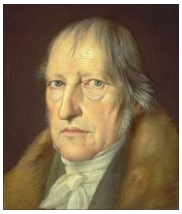

" يتحدد سلوك كل من وعيي الذات (الفردين المتواجهين) بكون كل منهما يثبت ذاته لنفسه ، كما يثبتها للآخر بواسطة الصراع ، لأن على كليهما أن يسمو بيقين وجوده إلى مستوى الحقيقة بالنسبة لذاته و بالنسبة للآخر" هيجل

الوعي بالذات لا يتحقق في إطار تجربة عزلة تأملية . كما أن وجود الغير ليس مجرد و جود استدلالي افتراضي . إن كل وعي بالذات يحيا من أجل أن يعترف به : هذه هي نقطة انطلاق التصور الهيجلي.
إن الوعي بالذات ليس معطى مباشرا و لا يوجد دفعة واحدة ، بل ينمو و يتطور عبر مراحل انطلاقا من الوجود الطبيعي الحيواني الذي تحركه الحاجات الحياتية لكنه لن يظل مشدودا إلى هذا الوضع ذلك أن الإنسان لا يرغب فقط في الأشياء الحياتية و موضوعات العالم ، بل يسعى إلى الاعتراف به كوعي بالذات غير قابل للاختزال

و هذه الرغبة في القطع مع الوجود الطبيعي الحيواني تأخذ شكل صراع حتى الموت مع الغير. إن معنى الصراع يتحدد في كون كل فرد يريد أن يثبت للآخر أنه وجود حر و أنه مستعد للموت أو التضحية بالحياة . غير أن العلاقات الاجتماعية تبقى غير متكافئة . و قد أخذت هذه العلاقة ، تاريخيا ، شكلا محددا هو شكل العلاقة بين السيد و العبد (يتحدث هيجل عن جدلية العبد و السيد) و هي العلاقة التي يحللها هيجل على النحو التالي :

1. يتنازل العبد عن الصراع خوفا من الموت فيفضل البقاء على قيد الحياة مضحيا بالحرية.
2. يبقى السيد على استعداد لمواصلة الصراع مفضلا الحرية و مستعدة للتضحية بالحياة.

غير أن هذه الوضعية ستضع السيد في مأزق حقيقي ذلك أنه يظل في أمس الحاجة إلى العبد. فالعبد يشتغل لصالح السيد لكنه عبر الشغل يحول عبوديته إلى سيادة حيث يصبح عبدا للسيد و سيدا على الطبيعة أما السيد فيكون سيدا للعبد لكنه يتحول إلى عبد للطبيعة . وهكذا يتحقق تبادل الاعتراف في نهاية المطاف فيتحقق الوعي بالذات.

يتضح أن الوعي بالذات يستوجب ضرورة وجود الغير، و يستوجب اعترافه ففي غيابه لا يمكن الحديث عن وعي بالذات كوعي حقيقي. إنه يستوجب المرور عبرة علاقة يؤطرها الصراع من أجل الاعتراف لأن الإنسان ينشد و يرغب أن يعترف به الغير كوجود حر . لكن هذا الصراع، يظل في نظر هيجل مجرد محطة يعقبها تبادل الاعتراف وحل التناقض بإزالة الفوارق و تجاوز علاقات السيادة و العبودية.

- سارتر J.P.SARTRE الغير شرط ضروري لوجود الأنا و للمعرفة التي تكونها عن نفسها

الغير وسيط ضروري بيني و بين نفسي : فأنا أخجل من نفسي من حيث أتبدى للغير ".
إنني أمتلك نظرة الغير في حميم فعلي بوصفها تجميدا لممكناتي الخاصة واستلابا لها." سارتر

يؤكد سارتر أن الغير شرط ضروري لوجودي و شرط للمعرفة التي أكونها عن نفسي . ففي العلاقة:
"أنا ⟷ غير" يكتشف كل طرف ذاته و يكتشف في نفس الوقت ذات الغير باعتبارها ضرورية لوجوده.
إن العلاقة هنا هي "علاقة وجود" يحصل بمقتضاها كل موجود في ذاته ما يستلزم ضرورة وجود الموجود الآخر.
يقول سارتر "لكي أتوصل إلى حقيقة كيفما كانت عن ذاتي ، لا بد لي أن أمر عبر الآخر. إن الآخر لا غنى عنه

لوجودي ، كما لا غنى لي عنه في معرفتي لنفسي." و قد اعتمد سارتر لتوضيح هذه المسألة مثال تجربة الخجل (مثال الرجل المتلمص) فأن أخجل معناه أن ينتابني شعور مذل عن الذات و هو خجل يحرج و جودي ذاته ، و يعبر عن حميمية الذات وقد تحولت إلى موضوع :" أنا أخجل ، و الخجل يحقق علاقة حميمية بيني وبين ذاتي ، أكتشف عن طريق الخجل بعدا من أبعادي " (سارتر). إن الخجل لا يتحقق في إطار العزلة، بل يستوجب ضرورة حضور الغير. فما دمت بمفردي فلن أشعر بالخجل مهما كانت درجة الابتذال في الفعل الذي أقوم به. فأنا لا أفكر فيه و لا أصدر عنه أي حكم و إنما أعيشه بنوع من العفوية و التلقائية، و لكن بمجرد ظهور الغير تتغير الوضعية، ففي اللحظة التي أدرك فيها أنني موضوع نظر، أنظر إلى ذاتي كما هي. إن الغير على هذا الأساس يدفعني للعودة إلى ذاتي، و أنا في هذه اللحظة لا أنظر إلى ذاتي كما أريد أن أنظر إليها و إنما كما ينظر الغير إليها، و ما كنت أفعله في عزلة دون الحكم عليه أعتبره الآن فعلا سخيفا و مبتذلا. و هذا لا يعني إثباتا مباشرا لوجود الغير فحسب و إنما أيضا إدراكا بأن الغير ينظر إلى كما أنا و يجعلني أعرف نفسي.

و من خلال هذا المثال يدفع سارتر تحليله لهذه الوضعية إلى أبعد مدى ، فبقدر ما تقتلعني نظرة الغير مما أنا غارق فيه ، بقدر ما تحولني إلى موضوع من بين موضوعات العالم و أشيائه .و هو بنظرته هاته يضعني في خطر ، ففي حضور الغير أحس تلقائيا أنني مهدد في حريتي، مسلوب الإمكانيات ، فأنا بالنسبة له لست إلا ما يراه الآن ، و مهما فعلت فإن أحكامه تلتصق بي، و منها تتشكل صورتي لديه، فانطلاقا من فعل مبتذل مثلا، يعتبرني وجودا مبتذلا.

و هكذا ، تحولني نظرة الغير ، في تجربة الخجل كمثال ، إلى موضوع (شيء) و تسلبني مقوماتي كذات ، و يكون علي لتجاوز وضع الاختزال هذا ، أن أبادل النظرة بنظرة أخرى في الاتجاه العاكس ، فأحول الغير إلى منظور إليه ، و تصبح العلاقة علاقة تباعد و تصادم عنوانها : من يحول من إلى موضوع؟

يتضح مع سارتر أن وجود الغير ضروري و أساسي ، بل هو شرط وجود "الأنا" و شرط المعرفة التي تكونها الذات عن نفسها . كما أن العلاقة بين الأنا و الغير يحكمها تناقض أساسي إذ أن كل طرف يحتاج إلى الآخر لتأكيد و جوده و تشكيل معرفة عن ذاته لكن في نفس الوقت الذي تجعل نظرة الغير الذات قادرة على معرفة ذاتها ، تسلبها حريتها و تحولها إلى موضوع. و هذا التناقض هو ما يجعل الغير يشكل تهديد و خطرا حقيقيا ، و هذا يعني أن الصراع هو جوهر العلاقة مع الغير لأن قدرته على موضعتي هو تهديد لحريتي فلا أجد سبيلا لتجاوز هذا التهديد إلا بمواجهة الغير .و هذا ما يفسر قولة سارتر" الجحيم هم الآخرون."

- هايدغر M.heidegger "ديكتاتورية "الهم" La dictature du "on"

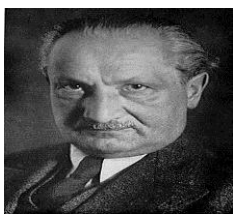

"إن الموجود هنا (dasein) . باعتباره وجودا فرديا خاصا ، لا يكون مطابقا لذاته عندما يوجد على نمط الوجود مع الغير لأن الآخرين أفرغوه من كينونته الخاصة ." هايدغر

في كتابه الأساسي "الوجود و الزمن" يتحدث هايدغر عن الوجود الإنساني (الدازاينdasein) و يقصد به وجود الإنسان الراهن (هنا:da و الوجود:sein) ، و نمط وجود الإنسان هو أنه وجود-مع ، فالعالم حيث يوجد الإنسان هو عالم مشترك un monde commun مع الآخرين . و عليه فإن الموجود الإنساني لا يوجد في العالم كما يوجد الماء في الكأس ، و نمط وجوده يختلف أيضا عن نمط وجود الحيوان فهذا الأخير يعيش في وسطه (son milieu) أما الوجود الإنساني فيوجد-في- العالم" مع الغير.

إن الشيء الذي يميز المجود الإنساني dasein هو أسلوبه النوعي في الوجود ، ويكمن ذلك في قدرته على أخذ مسافة و اختيار ذاته بين الأصالة و الزيف لأن إمكانية وجوده إما أن يكون اختارها أو اختيرت له .و على أساس هذا التمييز يؤكد هايدغر على أنا الوجود – مع – الغير في الحياة اليومية العادية ، مع الناس ، يفرغ الذات من إمكاناتها وتفردها لأن الإنسان يفقد بذلك أصالته ويشبه جميع الناس وكأنه لا أحد.

إن الحياة اليومية التي يعيشها الإنسان تجعله يحيا حياة غير أصيلة، ويسمح للمجهول "on" الذي نسميه "الناس ،أو الجمهور، أو الرأي العام..." أن يفرضها عليه ، فعندما يلعب الإنسان الرياضة ، أو يتفرج على المباريات أو يشاهد برامج معينة أو يلبس بطريقة محددة فقط لأن الناس أو العامة تفعل ذلك ، عندما يفعل كل هذا يفقد تفرده وأصالته.

نستشف من موقف هايدغر أنه لا إمكانية للحديث عن عزلة الذات على اعتبار أن كل وجود هو بالضرورة وجود - مع الغير- في العالم فأشياء العالم مثلا لا توجد من أجلي وحدي ، بل تحيل أيضا إلى الغير (هذا الكرسي الذي استعمله ،أو هذه الحافلة التي استقلها ليسا لي وحدي، بل لي وللآخرين)،إن العلاقة مع الغير مكون أساسي للموجود-هنا. غير أنه .. في الحياة العامة ،يتحدث هايدغر،عما يسميه "ديكتاتورية الهم le on "حيث يتم القضاء على كل مسؤولية وأصالة، وإلغاء الخاص لصالح المشترك ، في هذه الوضعية ، يصير كل واحد هو الآخرون ولا أحد هو نفسه.

المحور الثـــانـــي مـعرفـــة الغـــير

سواء في علاقة الذات بذاتها أو في علاقتها بما يوجد خارجها (العالم +الغير...) يكون الهدف هو تحقيق المعرفة وإذا كانت المعرفة بالتعريف، هي عملية إدراك ذات لموضوع يوجد خارجها ، فإن المفارقة العويصة التي تصطدم بها هذه الذات في سعيها لمعرفة الغير هي أنه بالتعريف أيضا ذات أخرى لها حياة نفسية داخلية . فهل تستطيع معرفة الغير محددا بهذا المعنى ؟ وما هي سبل هذه المعرفة ؟ و هل يمكن الولوج إلى عالم الغير الداخلي(وعيه)؟

- **غاستون بيرجي G.Berger بين الأنا و الغير حدار سميك غير قابل للاختراق .**

"أنا أعيش وحيدا محاطا بسور وأشعر بالعزلة أكثر من شعوري بالوحدة ،وعالمي السري سجن منيع"
بيرجي

ينطلق بيرجي من كون التجربة الحميمية تشكل عائقا حقيقيا أمام كل إمكانية لمعرفة الغير وللتواصل معه. فهي تكشف عزلة الفرد التي تشكل سجنا منيعا لا يستطيع الخروج منه ،كما لا يقدر الغير على اختراق أسواره .و بالمثل، يعتبر الغير أيضا سجين تجربته الحميمية ، و بالتالي فان ما لا تستطيعه الأنا لا يستطيعه الغير أيضا .وحتى حينما يكون الغير قريبا أو صديقا فإن أي تعاطف معه وأية مواساة له في ألمه لا تمكنني من أن أعيش ألمه ، وأن أحس به كما يحس به هو. وعليه تظل تجربة الغير تجربة خاصة ويظل هو في موقعه و أنا في موقعي لأن التجربة الحميمية سجن مغلق يمنع كل إمكانية للانفتاح و التواصل .

يتضح مع بيرجي أن التجربة الحميمية تشكل عائقا أمام كل إمكانية لمعرفة الغير من الداخل (كذات)،يقول بيرجي: "إن الآخرين لا يستطيعون ولوج وعيي كما لا يمكن لي أن أخلي لهم السبيل للنفاذ إليه حتى لو تمنيت ذلك " . ذلك أنه يوجد بين موقعي كل من الأنا و الغير فرق أساسي إلى درجة أن أي أحد منهما لا يمكنه أن يغيره أو يحيد عنه ،فلا أحد يمكنه أن يحيا مكان الآخر، و لا أن يحب نيابة عنه ، ولا أن يموت بدله. يوجد ، إذن ، فارق أساسي بين ما يعيشه الغير، و الطريقة التي أتمثل بها ما يعيشه. إنه في علاقة مباشرة بالتجربة لأنه يعيشها ، أما أنا فعلى علاقة غير مباشرة بها لأني فقط أتصورها وأستحضرها. وبالتأكيد أستطيع مشاركته وجدانيا في ألمه و معاناته لكني أتألم لأنه يتألم في حين أنه يتألم لأنه فقد شخصا عزيزا مثلا، و هكذا فوضعية الأنا و وضعية الغير غير متماثلتين .

- **ميرلو بونتي M.Merleau-Ponty لا أستطيع أن أضع نفسي مكان الغير مع ذلك أتواصل معه**

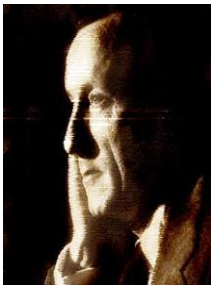

"إذا ما ربطتني صلة بشخص مجهول لم يتبين بعد بكلمة فإنني أستطيع أن اعتقد أنه يعيش في عالم آخر لا تستحق أفعالي و أفكاري أن توجد فيه. لكن ما أن ينطق بكلمة حتى يكفي أن يكون غريبا عني ،هو ذا صوته و هي ذي أفكاره ، هو ذا المجال الذي كنت أعتقد أنه يستعصي علي بلوغه ".
ميرلو بونتي

لا يمكن أبدا، حسب ميرلو بونتي، أن نختزل الغير في سلوكه الخارجي و إلا تحول إلى شيء بين الأشياء. إنه كائن يتكلم و يعبر عن أفكار، وعبر الكلام يتحول من مجرد موضوع إلى ذات تتقاسم مع الأنا عالما مشتركا . فحتى يكف الغير أن يكون غريبا عني ، و حتى لا تبقى الأنا بدورها منعزلة لابد من الحوار الذي يخلق مجالا للتعايش المشترك، ويشكل نسيجا واحدا من الأفكار ، ففي تجربة الحوار يفكر كل من الأنا و الغير بطريقة مختلفة (اختلاف الأفكار) لكنهما يفكران معا . إن الاختلاف لا يلغي التقاطع "البينذاتي" المشترك على اعتبار أننا نكتشف الغير ككائن إنساني وكنظير لنا عن طريق الكلام ، و الحوار يؤسس ل"البين-ذاتية l'intersubjectivité" . لهذا لا يتحدث ميرلو بونتي عن المعرفة " connaissance" ، بل عن الولادة أو الانبثاق المشترك "co-naissance".

يرى ميرلو بونتي أن الحوار يمثل شرط إمكانية الموضوعية باعتبار أن المجال المشترك الذي يخلقه الحوار لا يحيل إلى عالمي فقط ، بل يحيل إلى عالم الغير أيضا . و هو لذلك يتحدث عن الانبثاق المشترك لا عن معرفة بالمعنى الموضوعي ، لذلك يمكننا أن نقول أنه مع التقليد الفينومينولوجي لا نتحدث عن المعرفة باعتبارها تعني الإمساك بحقيقة الذات بقدر ما نتحدث عن فهم و تفهم الغير . بهذا المعنى يتجاوز ميرلو بونتي التصورات التي ترى أن العلاقة مع الغير يحكمها التشييء و الموضعة و الصراع و العنف باعتبار الكلام يشكل شرطا لإمكانية الحوار و التواصل "لا تقلق الإنسان نظرة الكلب ، ولكن تقلقه نظرة إنسان يرفض الحوار".

- **ماكس شيلر : التعاطف كحل لمشكلة معرفة الغير**

"إن أول ما ندركه من الناس الذين نعيش وإياهم، ليس هو أجسادهم (ما لم يتعلق الأمر بفحص طبي خارجي)، ولا أفكارهم ونفوسهم، بل إن أول ما ندركه منهم هو مجموعات لا تنقسم ولا تتجزأ." شيلر

ينتقد التصورات التي تعمد إلى تقسيم الغير إلى خارج / داخل ، نفس / جسد ... ويرى أن ما ندركه منذ البداية هو البنية الكلية للغير. فنحن لا نقسم الغير إلى قسمين ،أحدهما مخصص للإدراك الباطني (النفس) والآخر مخصص للإدراك الخارجي (الجسد) ،بل إننا ندرك الغير في كليته. فالوحدة التعبيرية للنظرة مثلا هي التي تعلمني أن فردا ما سيتصرف معي بود أو بعداء . و أنا أعرف ذلك قبل أن أدرك لون بشرته أو شعره. و على أساس هذا النقد ، يقترح ماكس شيلر التعاطف كحل يضعني في علاقة مباشرة بمعيش الغير بدون أن أقاسمه هذا المعيش . إن التعاطف معرفة خاصة قائمة على الفهم و التفهم و لا يمكن إرجاعها الى نمط معرفة العالم الموضوعي (معرفة الأشياء مثلا).

إجمالا يقودنا التفكير في إشكالية معرفة الغير إلى الوقوف عند صعوبتها ، إذ يظهر أنه لما نعتقد أننا قادرين على معرفة الغير من خلال ما نعرفه عن أنفسنا (مماثلة سلوكه بسلوكي، ألمه بألمي ،فرحه بفرحي، أحواله الداخلية بأحوالي ...الخ) نكون أبعد

من أن نعتبره أنا آخر، لأنه بقدر مالي أنا un moi للغير أيضا أنا وهو إذ يبدو مماثلا لي من هذه الجهة ، يظل من جهة أخرى مختلفا عني لأنه "آخر غير ي أنا un autre que moi " .فنحن نتصور أن تجربتنا الخاصة قادرة على أن تغطي حقل تجارب الغير، و لذلك نعتقد أننا قادرين أن نضع أنفسنا مكانه مما يجعلنا ننسى أنه "آخر غيري أنا un autre que moi " . وحتى عندما نتصور أننا قادرين على النفاذ و العبور إلى داخل الغير ، إلى عالمه الحميمي عبر العلامات و الرموز و الإشارات معتقدين أنه ستكون لها نفس الدلالات لو كنا في موضعه، فإنه مرة أخرى، ننسى أنه باعتباره مختلفا قد يضفي عليها دلالات غير تلك التي أقصدها أنا. و في كل الأحوال يتعلق الأمر بمجرد افتراض لا يمكن أن نخرج منه إلا بمعرفة تقريبية غير يقينية. إن المسعى الذي يبحث معرفة الغير انطلاقا من الأنا على أساس ثنائية الذات العارفة و موضوع المعرفة المتحيز خار ج الذات مآله الفشل، لأنه ينطلق من فكرة تعالي الذات و مركزيتها بما تضمره من نزعة تشييئية و نزوع إلى السيطرة و التحكم. في حين أن التمييز بين آليات التعامل مع الأشياء و مجال التعامل مع الذوات الإنسانية فيه تجاوز لمنطق التأمل و التفسير و مراهنة على التفاعل و العلاقة بين الذوات بما يؤسس للحوار و الفهم و التعاطف.

المحور الثالث العلاقة مع الغير

يجد الكائن البشري نفسه موصولا بأنماط علاقات غاية في التنوع مع الغير. وهي علاقات تقع بين حدين متناقضين : الأول يأخذ وجها سلبيا ويتحدد من خلال مفاهيم : الصراع ، التهديد، الخطر... أما الثاني فيأخذ وجها إيجابيا يراهن على الأفق الإنساني - الأخلاقي ، فما طبيعة هذه العلاقة ؟

كانط E.Kant .. من واجب احترام الشخص إلى الصداقة كمجال للتوازن بين الاحترام و الحب.

" تصرف على نحو تعامل فيه الإنسانية في شخصك كما في شخص غيرك كغاية لا كمجرد وسيلة ."

"... إن الصداقة، في صورتها المثلى ، هي اتحاد بين شخصين يتبادلان نفس مشاعر الحب و الاحترام ." كانط

يضع كانط تقابلا جذريا بين: الأشياء و الأشخاص، الوسائل و الغايات . و الإنسان بوصفه شخصا يوجد كغاية في ذاته لا كمجرد وسيلة و هو على هذا الأساس منزه عن كل استعمال خارجي أو تشيئ . إن قيمته بوصفه شخصا، تكمن في كونه يحمل في ذاته أسمى الغايات : إنها فكرة الإنسانية . لذلك تحدث كانط عن ضرورة احترام الشخص كمخلوق يتمتع بالكرامة و أدخل مفهوم الواجب كإلزام يتفرع عن حق الإنسانية في شخصنا ، وهو واجب مرتبط بالأمر الأخلاقي الذي يتشارك فيه البشر، و يبدأ بالواجب نحو الذات، لتصبح غاية الإنسانية في شخصنا هي غاية الجميع، و يكون الواجب نحو الذات واجبا نحو الغير ، وهو على هذا

الأساس غير مشروط بأية منفعة أو مصلحة. لكن يمكن أن نحترم شخصا دون أن نحبه ، فهل من إمكانية للجمع بين مشاعر الحب و الاحترام؟

لقد تفطن كانط لهذه المسألة لذلك طرح الصداقة كإمكانية لتحقيق التوازن بين الحب و الاحترام إن تحقق الصداقة، بالمعنى الذي يقترحه كانط، يقتضي المزج بين مشاعر الاحترام و الحب، أي إحداث نوع من التوازن المثالي بين الحب الذي يقرب المسافات مع الغير الصديق و بين الاحترام الذي يبقى على المسافة. فالحب يقرب بين الأنا و الغير لكنه في ارتباطه بالرغبة و في بعده الشهواني يمكن أن يقضي على كل احترام . و الاحترام من جهته يحافظ على المسافة لكنه لوحده مجرد من العاطفة و لأنه مؤسس على الأخلاق يمكن أن يكون صوريا و باردا مفتقدا للعواطف و الأحاسيس الوجدانية. لذلك فالصداقة المثلى هي التي تحضر فيها حرارة العاطفة و في نفس الوقت يحضر فيها واجب الاحترام. يقول كانط:" لا ينبغي أن تقوم الصداقة على منافع مباشرة و متبادلة ، بل يجب أن تقوم على أساس أخلاقي خالص. "

على مستوى أخلاقي، يرى كانط أن الغير بوصفه شخصا مماثل للأنا لذلك فهو يتمتع بالكرامة و جدير بالاحترام الذي يمنع كل إمكانية للتعامل معه كمجرد شيء قد يستخدم لمصلحة أو منفعة . أو يهدده في ما قد يمس قيمته. كما يقر بمثالية الصداقة الحقة على اعتبار أن التوازن يبقى مطلبا ورهانا أخلاقيا لأن الحب بمفرده قد يتحول إساءة للصداقة و الاحترام يبقى في صورته باردا . وهو يرى أن الصداقة ليست مجرد عاطفة وجدانية ، بل هي بالأساس فضيلة أو قيمة أخلاقية قد يندر تحققها في الواقع لكنها مع ذلك تظل رهانا و مطلبا و قيمة تنشد لأن إمكانية تحققها كفيلة بالقضاء على كل أشكال التهديد و الصراع .

أوغست كونت A.Comte الإيثار L'altruisme أو التضحية من أجل الغير

"أن يحيا الإنسان من أجل الغير، يعني عند كل واحد منا، واجبا ضروريا و مستمرا ينبثق عن هذه الواقعة المعتبر تجاوزها و هي : أن يحيا الإنسان بفضل الغير."

تتحدد العلاقة بين الأنا و الغير عند كونت باعتبارها علاقة إنسانية خالصة تراهن على ما هو عميق في الإنسان . يتحدث كونت عن الإيثار L'altruisme و يعتبره "دين الإنسانية La religion de l'humanité " وهو يؤكد أن التضامن لا يتحقق فقط في المجال الجغرافي بل أيضا عبر الزمان و التاريخ . لذلك فإن الإنسان مهما فعل ، يظل مدينا للإنسانية و يتوجب عليه ، بمقتضى هذا الدين، أن يحيا من أجلها و من أجل الغير و هو بفعله هذا لن يرد إلا النزر القليل مما قدمته له سواء من طرف القريبين منه أو من طرف البعيدين في الحاضر و الماضي. إن الإنسان يتلقى الحماية من الآخرين ويطور قدراته عبرهم و يحيا من خلالهم ومن أجلهم . لذلك كان من اللازم عليه التضحية sacrifice ونكران الذات . إن الغيرية كإيثار تهدف إلى تحقيق الانسجام بين سائر الناس من خلال تثبيت مشاعر التعاطف و المحبة بينهم و نشر قيم التضامن و الاستقرار في العالم . يقول كونت :"وحدها دوافع التعاطف الإنسانية تصنع الانطلاقة الحقيقية لحياة من أجل الغير ، حياة يجد فيها كل واحد من أفراد المجتمع مساعدة من طرف الآخرين."